لما نصب المنجنيق على ابي قبيس بالحجارة والنيران واشتعلت واستار الكعبة بالنار جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق فمطرت فما جاوز مطرها والمطاف فاطفأت النار وارسل الله تعالى عليهم صاعقة فاحرقت منجنيقهم فتدا ركوه قال عكرمة واحسب انها احرقت اربعة رجال فقال الحجاج لا يهولنكم هذا فانها ارض صواعق فارسل الله صاعقة اخرى فاحرقت المنجنيق واحرقت معه اربعين رجلا وذلك في سنة ثلاث وسبعين ايام عبد الملك وسببا ان الحجاج ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما ففعل ذلك لاخراجه **تتمة** صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اي له ساقان دقيقان فالتصغير لذلك وانه افحج الساقين وهو بفاء فمهملة فجيم من يتفاوت صدر قدميه ويتباعد عقباه وينفرج ساقاه وورد انه لا يستخرج كنزها الا هو وانه ازرق العينين افطس الانف كبير البطن وانه واصحابه يستنقضونها حجرا حجرا او يتناولونها حتى يرموا بها الى البحر **تنبيه** هذا الهدم يكون في زمن عيسى صلى الله وسلم على نبينا وعليه وعلى سائر الانبيا والمرسلين فياتي اليه الصريخ فيبعث اليه قاله الحليمي وقال غيره بل يكون بعد موته وبعد رفع القران وصححه بعض المتاخرين ويؤيده حديث البخاري ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج فان قلت هل يمكن الجمع بين القولين بتقدير صحتهما قلت يمكن ان يحملا ان يهدم بعضه في زمن عيسى فيبعث اليه فيهرب ثم بعد موته ورفع القران يعود ويكمل هدمه اشارة الى دفع معالم الدين من اصلها وانه لم يبق في الارض منها بقية اصلا بل لم يبق على ظهرها من يقول الله الله ولذا جا في رواية انه لا يعمر بعد ذلك ابدا وفي اخرى عن علي كرم الله تعالى وجهه قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا اثره قال ابن رجب الحنبلي فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم على ان هذا البيت يحج ويعتمر بعد خروج ياجوج وماجوج ولا يزال كذلك حتى تخربه الحبشة ويلقي حجارته في البحر وذلك بعد ان يبعث الله تعالى ريحا طيبة تقبض ارواح المومنين كلهم فلا يبقى في الارض مومن ويسرى بالقران من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الارض قران ولا ايمان ولا شيء من الخير فبعد ذلك تقوم الساعة انتهى وعلم مما نقل عن علي كرم الله تعالى وجهه ان هذا التخريب لا ينافي قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ولا الخبر الصحيح اني احلت لي مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها الى يوم القيمة لما تقرر ان تخريبه مقدمة لخراب الدنيا لكونه امنا محترما انما هو قبل ذلك على ان الحكم بالحرمة والامن باق الى يوم القيمة

وكذا

٢٢٣

وكذا وجودهما بالفعل لكن باعتبار اغلب اوقاته والا فكم وقع فيه من قتال واخافة لاهله جاهلية واسلاما في زمن ابن الزبير وبعده الى زمننا ولو لم يكن من ذلك الا وقعة القرامطة سنة عشر وثلاثمائة فقدم سلطان ابو طاهر القرمطي في عسكره يوم التروية فنهبوا اموال الحجاج وقتلوهم في المسجد وفي البيت الحرام وقلع الحجر الاسود وارسله الى بلاد الحسا والقطيف وقتل امير مكة وقلع باب الكعبة وطرح القتلى في بير زمزم ودفن البقية في المسجد بلا غسل ولا صلاة واخذ كسوة البيت فقسمها بين اصحابه ونهب دور مكة ثم رد الحجر بعد مكثه عندهم اثنين وعشرين سنة وانما حرسنا الكعبة من الفيل دون الحجاج ونحوه لانه هذا بعد استقرار الدين فاستغنى عن ايات تاسيسه واصحاب الفيل كانوا قبيل ظهور النبوة فجعل المنع اية لتاسيسها والجواب بان الحجاج ما قصد التسلط على البيت بل الاحتيال لاخراج ابن الزبير فيه نظر على انه منتقض بفعل هذا الملحد القرمطي فانه لم يقصد الا التسلط على البيت واهله واجيب ايضا بان ما وقع فيه في الاسلام من القتال ونهب الاموال انما كان بايدي المسلمين فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم ولن يستحل هذا البيت الا اهله فوقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم وهو من علامات نبوته وانما الاهلية والاسلام لا ولئك الفجرة الذين جسروا على حرمة الموت انما هو باعتبار الغالب فلا ينافي كفر الحجاج عند طايفة من العلماء وهو الصواب اذ صح ما نقل عنه انه راي جماعة محدقين بالحجرة الكريمة النبوية على مشرفها افضل الصلاة والسلام فقال لو بارزته فقال ما بال هولاء وهل يطوفون الا باعظام بالية وحكي عنه قبائح اخرى نحو ذلك ولا ينافي ايضا الحكم على القرامطة بالكفر والالحاد لانهم من الاسماعيلية الذين هم اقبح كفرا واسخف عقلا من كثير من الملل الفاسدة لاستحلالهم مع شناعة ارائهم والحادهم نكاح المحارم ومشابرتهم عليه واعلم ان الصحيح الذي صرحت به الاحاديث الصحيحة ان صيرورة مكة وحرمها امنا من الجبابرة والخسوف ونحوهما كان من منذ خلق الله السموات والارض وان ابراهيم صلى الله وسلم انما اظهر حرمتها بسواله المذكور في القران لما اندرس البيت من الطوفان وبني حكمه وحجره وانه لم يسل الا امنا مخصوصا كالامن من الجدب والقحط اي القاتل والا فكم وقع بها من جدب لا يطاق **تنبيه** اخرج عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المسجد الحرام اول مسجد وضع في الارض وان المسجد الاقصى وضع بعده باربعين سنة ولا ينافيه ما صح ان سليمان بنى الاقصى مع ان بينه وبين ابراهيم الباني للمسجد الحرام بنص القران اكثر من الف سنة لان